تجليّات الاستعارة الفضائيّة الاتّجاهيّة من الوجود إلى التّمثيل الذّهنيّ في قصيدة أنا ثائر لمفدي زكرياء

The Manifestations of Directional Space Metaphor: from Existence to Mental Representation in the Moufdi Zakaria's Poem " I am a Rebel"

سهيلة ناجوي*
مخبر الدّراسات اللّغويّة النّظريّة والتّطبيقيّة، جامعة محمد بوضياف -المسيلة
Souhila Nadjoui
Laboratory of theoretical -University of M'sila
souhila.nadjoui@univ-msila.dz

عز الدّين عمّاري
جامعة محمد بوضياف -المسيلة
Azzeddine Ammari
Laboratory of theoretical and applied linguistic studies, University of M'sila
azzeddine.ammari@univ-msila.dz

تاريخ الاستلام: 2022/07/11 تاريخ القبول: 2022/09/07 تاريخ النشر: 2022/09/29

-**الملخص:** مما لا شك فيه أن دور الذهن البشري يكمن في إنتاج تصورات متولّدة من التجارب الحياتية للإنسان، وهذا ناجم عن التفكير الاستعاري، وذلك بتجاوز كون الاستعارة أسلوبا فنيا يزخرف النصوص الإبداعية لتبدو مزركشة منمقة بديعة بيانيا وبلاغيا، وإنما هي نتاج ذهني ووسيلة معرفية ناجمة من التفاعل الحاصل بين المجال الذهني والحسي؛ بغية فهم المعارف المجتمعية وتأويلها وتوسيع فضاء الدلالة، لذلك فإنّ هذه الورقة البحثية المعنونة "بتجليّات الاستعارة الفضائيّة الاتّجاهيّة من الوجود إلى التّمثيل الذّهنيّ في قصيدة أنا ثائر لمفدي زكرياء" تسعى لتطبيق هذا النوع من الاستعارات على المدونة، التي هي واحدة من قصائد الشاعر مفدي زكرياء في ديوانه اللهب المقدس، والتي عنوانها "أنا ثائر"، إذ نظمها أثناء فراره من السجن في طريقه إلى المغرب، في آذار سنة 1959، وهي عينة من مذهبه الرصين في الشعر الجديد.، ومنه فإن هدفنا من هذه الدراسة هو السعي إلى البحث في أسس الاستعارة الفضائيّة الاتّجاهيّة وتجليّاتها في القصيدة، وقد اعتمدنا المنهج الوصفيّ وعلى التّحليل كأداة لتقصي الاستعارات الفضائيّة الاتّجاهيّة في المدونة التي نحن بصددها من خلال إخضاعها على الجانب التطبيقي الميداني، وقد توصّلت الدّراسة لمجموعة من النّتائج كان أهمّها محاولة تحليل اللّغة المستخدمة في النّتاج الأدبيّ للشاعر، فقصيدته تعدّ كيانا فاعلا ومحورا رئيسا لإنتاج معاني ومفاهيم الواقع، لتوفّرها على أشكال استعاريّة اتجاهية متفاعلة ومنتجة لرموز لغويّة، وبنية نسقيّة من البنية الفضائيّة، ومنه بنينة الخطاب في القصيدة وفق التّجارب الفيزيائيّة المرتبطة بعالم الشّاعر.

- **الكلمات المفتاحية:** استعارة فضائيّة، ذّهن، بنيات تصوريّة، نشاط ذهنيّ، التّفكير الاستعاريّ.

Abstract: There is no doubt that the role of the human mind lies in producing perceptions generated from human life experiences, and this is the result of

*- المؤلف المرسل

metaphorical thinking, by transcending the fact that metaphor is an artistic style that decorates creative texts to appear ornate, ornate, ornate, graphically and rhetorically, but it is a mental product and a cognitive means resulting from the interaction between The mental and sensory field, in order to understand and interpret societal knowledge and expand the space of significance, through the interactive relationship between human language, mind and social, psychological and environmental experience, so that metaphors see metaphors as nothing but a cognitive means that contribute to crystallizing various human perceptions, all our experiences in society They are allegorical This is in view of the fact that metaphor is a conceptual structure that is closely related to the mind and brain of the human being, so that eccentricity to understanding and producing meaning and knowledge ,The role of the human mind lies in the production of perceptions generated by allegorical thinking .The latter is a cognitive means which results from the interaction between the mind and senses. This research seeks to find out the foundations of directional space metaphor and its manifestations in the poem I am a Revolutionary because it contributes to the crystallization of different human perceptions related to conceptual structures that are closely related to the human mind, relying on the descriptive method and on analysis as a procedure to investigate and extract the mystical metaphors rooted in the poem we are going to study.

Keywords: Conceptual Structures - Mental Activity - Metaphorical Thinking - Mind Space Metaphor.

1- مقدمة:

لقد كانت ولازالت الاستعارة محطّ أنظار الباحثين والدّارسين اللّغويّين واللّسانيّين، الذين يسعون إلى كشف كنهها وفهم آليات اشتغالها، وذلك لأهميتها في نقل مختلف معاني النّصوص الخطابيّة، وانتقال دورها المنوط في استخدام لفظ عوض لفظ آخر، على أساس التّشابه بين طرفيها بوصفها ظاهرة لغويّة، إلى دورها الجديد المتمثّل في التّواصل بها ومساهمتها في تنظيم سلوكنا في الحياة اليوميّة، وإبراز التّفاعل الحاصل وسط المجتمع، وبالتّالي نفهم بنيته ونظامه وممارسات المجتمع الثّقافيّة والاجتماعيّة؛ بغية عكس تفكير المرء ومنحه نسقا لفهم الأشياء من

حوله، وطريقة اشتغال تلك الأشياء، وبالتّالي تجاوز الدّارسون العرفنيّون الجانب اللّفظيّ واللّغويّ للاستعارة والمتمثّل في الزخرف اللّفظيّ، إلى الجانب الذّهنيّ والفكريّ لكلّ من المرسل والمرسل إليه .

وبناء على الجانب النّظريّ اخترنا قصيدة "أنا ثائر" لمفدي زكرياء؛ رغبة منا في رصد وتتبّع فاعليّة الاستعارة الذّهنيّة الفضائيّة الاتّجاهيّة على وجه الخصوص، حسب ما يراه كلّ من جورج لايكوف ومارك جونسون في كتابهما "الاستعارات التي نحيا بها"، ومحاولة كشف المفاهيم التي تقف وراء توظيف الشّاعر للاستعارة العرفنيّة الاتّجاهيّة.

ولهذا فإنّ هذه الورقة البحثيّة ستحاول الإجابة عن الإشكاليّة الكبرى الآتية :

- كيف يمكن قراءة تمظهر وتجسد الاستعارة الفضائيّة الاتّجاهيّة في قصيدة "أنا ثائر" لمفدي زكرياء؟

والتي تندرج تحتها عدة **فرضيّات**، من بينها:

- تكمن قيمة الاستعارة العرفنيّة ومبادؤها في فهم وإنتاج المعنى.

- كيف تجلّت الاستعارة الفضائيّة ونشأت من خلال من التفاعل الحاصل بين المجال الذهنيّ والحسيّ.

- يتحدّد دور الاستعارة الاتّجاهيّة ونسقية تصوّراتها في بلورة التّصوّرات الذّهنيّة للإنسان بناء على التّجارب الفضائيّة المختلفة باعتبار الاستعارة نشاطا ذهنيّا.

وقد اعتمدنا في هذا المقال على المنهج الوصفي المعضود بأداة التّحليل في تحرير محاور هاته الورقة البحثية، سعيا منا لتحديد أسس الاستعارة الاتّجاهيّة الفضائيّة، والوقوف على تجليّاتها في قصيدة أنا ثائر، وفهم المعارف التي تدلّ عليها وتأويلها وتوسيع فضاء الدّلالة من خلال هذه القصيدة، ومنه الإمساك بالرموز اللغوية بمختلف بنياتها من البنى الفضائية المشكلة في ذهن الشاعر التي يود منا أن نصل إليها، وتكمن أهميّة الدّراسة في إمكانية استخراج الاستعارات العرفنيّة المتجذّرة في القصيدة المطبّق عليها، والحاملة للمعاني الذهنية من خلال عدة استعارات اتجاهية، وقد تنوّعت النّتائج المتوصّل إليها من خلال الدّراسات، فمثلا دراسة الباحث الميلود حاجي المعنونة "بالاستعارة في نماذج من شعر محمود درويش «مقاربة عرفانية»" توصّل إلى أنّ الاستعارة الاتّجاهيّة تستلهم علامتها اللغويّة وهيئتها النّسقية وأبعادها الأنطولوجية من البنية الفضائيّة التي يتحرك فيها الشاعر، كما نجد أيضا أنّ دراسة الباحثة حبيبة حلحاز المعنونة "بالخطاب الاستعاري في رباعيات عز الدين مهوبي دراسة لسانية تداولية" توصلت إلى أن ذهن الشاعر المنتج للاستعارات كالجهاز الإبداعي، فهو صانعها لا مجرد حاو سلبي لها، فبالعمليات

الدقيقة يفرز لنا بنية استعارية تتعالق ضمن مجالين لهما، فقد عكست الاستعارات الوعي الفكري بمظاهر الكون وتجلياته وتفاعل الشاعر معها.

1- ماهية اللّسانيات العرفنيّة:

مع تعدّد المصطلحات في الحقل اللّغويّ واللّسانيّ، ظهر مصطلح جديد في السّاحة اللّسانيّة يعرف «بالعلوم العرفنيّة وهو حقل جديد يجمع ما يعرف حول الذّهن ضمن عدّة اختصاصات أكاديميّة، مثل علم النّفس واللّسانيّات والأنثربولوجيا والفلسفة وعلم الحاسوب، وهو يبحث عن أجوبة دقيقة لأسئلته، من قبيل: ما العقل؟ كيف نجعل تجربتنا ذات معنى؟ ما النّظام التّصوريّ وكيف ينتظم؟ وهل يستعمل جميع النّاس نفس النّظام التصوري؟ إذا كان الأمر على هذا النحو فما هو ذلك النظام؟ وإذا كان خلاف ذلك، فما المشترك بين طرق التفكير لدى كل الكائنات البشرية؟ هذه الأسئلة ليست بجديدة بل الجديد في بعض الأجوبة الحديثة عنها». (مجدوب 2012، ص. 321)

وعليه نجد أنّ العلوم العرفنيّة علم يعنى بتسليط الضوء حول عمليّة التّفكير، وأثر العقل والذّهن في ذلك، من خلال انتظام النّظام التّصوريّ لبني البشر، إذ «تدرس اللّسانيّات الإدراكيّة اللّغة في وظيفتها المعرفيّة والإدراكيّة كما تركّز على اللّغة الطبيعيّة كوسيلة لتنظيم ومعالجة ونقل المعلومات وترى اللّسانيّات الإدراكيّة أنّ اللّغة جزء من القدرات الإدراكيّة الشّاملة لدى الإنسان وينظر للّغة أنّها مستودع لمعرفتنا بالعالم وهي تجمع لنا معرفتنا بالعالم من حولنا من خلال التّجربة الحسية وتخزّنها في عقل الإنسان وتساعده على التّعامل مع تجارب جديدة». (جنان 1434هـ/ 2013، ص. 11)

حري بالبيان أنّ اللّسانيّات الإدراكيّة تهتم بوظيفة اللّغة المعرفيّة والمعلوماتيّة، التي هي كامنة في عقل الإنسان، والتي تساعده على فهم التّجارب المختلفة التي تواجهه في الحياة، «ولذلك نعتمد في حديثنا مبدأ (الإشاريّة) في اللّغة بمعنى أنّنا نستطيع أن نحدّد مكان الأشياء من حولنا حسب ما تعنيه لنا أو بحسب أهميّتها بالنّسبة إلينا حيث نعتبر أنفسنا مركز الكون وكلّ شيء من حولنا نراه حسب وجهة نظرنا وهذه النّظرة الذاتية للعالم من حولنا تظهر في استخدامنا للّغة وعندما نتكلّم فإنّ موقفنا في الزّمان والمكان بمثابة نقطة مرجعيّة لموقع الكيانات الأخرى في المكان أو الزّمان ونشير للمكان الذي نحن فيه أنّه (هنا) والزّمان الذي نتحدّث فيه أنّه (الآن) وحينما أقول (جارتي هنا الآن) فإنّ المستمع يعلم مباشرة أنّ معنى (هنا) المكان الذي أنا فيه و(الآن) الوقت الذي كنت أتكلّم فيه وكلمات مثل (هناك) و(بعد ذلك) و(اليوم) و(غدا) و(هذا) و(تأتي) أو (تذهب) وكلّ

الضمائر الشخصيّة كلّها تعبيرات إشاريّة تتّصل بالأنا النّاطقة». (جنان، 1434هـ/ 2013، ص ص. 13-14)

ومنه نجد أنّنا نستعمل الإشاريّات للدّلالة على مكان وجود عديد من الأشياء في العالم الخارجيّ، بحسب أهميّة ذلك الشيء المشار له، ونظرتنا حوله، كلّ حسب رأيه، «وتقدّم اللّسانيّات الإدراكيّة ثلاث فرضيّات يسترشد بها الإطار اللّسانيّ الإدراكيّ في التّعامل مع اللّغة وهي:

أ- اللّغة ليست قدرة إدراكيّة مستقلّة.

ب- النّحو هو عمليّة خلق للمفاهيم (أفهمة) ممّا يعني أنّ اللّغة رمزيّة بطبيعتها.

ج- المعرفة باللّغة تأتي من الاستعمال اللّغويّ.

وهذه الفرضيّات الثلاث تمثّل ردّ اللّسانيّات الإدراكيّة على النّحو التّوليديّ الذي يفصّل بين الملكة الإدراكيّة والقدرات الإدراكيّة غير اللّغويّة وكذلك هي ردّ على علم الدّلالة المشروط بالصّدق والذي يقيم الميتالغة الدّلاليّة استنادا إلى صدقها أو كذبها بالنّسبة للعالم». (جنان، 1434هـ/ 2013م، ص ص. 14-15)

نجد أنّ اللّسانيّات الإدراكيّة كان لها الرّد اللّاذع على التيّار النّحويّ التّوليديّ وعلم الدّلالة من خلال تصحيح عديد من المفاهيم المغلوطة في العلمين، بإبداء علماء اللّسانيّات الإدراكيّة رأيهم حول عديد من النّقاط التي تخصّ اللّغة الإنسانيّة، وقد «انبثقت اللّسانيّات الإدراكيّة من عدم رضاها عن التّقاليد اللّسانيّة المهيمنة في القرن العشرين ومنها تقليد البنيويّين/ الصوريّين في علم الدّلالة الأوروبيّ، وتقليد التّوليديّين/ الصّوريّين الذي هيمن على البحث في علم التّركيب في شمال أمريكا. والمقاربة الصّوريّة/ الحاسوبيّة لعلم الدّلالة التي سادت في شمال أمريكا وأوروبا طيلة النّصف الثاني من القرن العشرين، وعلى النّقيض من ذلك فقد كان الحلفاء الطّبيعيّون (للّسانيّات الإدراكيّة) هم الوظيفيّون والسيّاقيّون بجميع أطيافهم بدءا من مدرسة براغ وغيرها: النّحو الوظيفيّ (ديك)، والنّحو الوظيفيّ النّسقيّ (هاليداي)، والنّظريّات الوظيفيّة النّمطيّة للّغة (جيفون) والتّداوليّات (فلسفة اللّغة العادية غرايس) والصّرافة الطّبيعيّة والصّواتة الطّبيعيّة (ستامب، دريسلر، دونغان)، بالإضافة إلى مدرسة كولومبيا للّسانيات مع رئيسها ويليام ديفر (الذي حذا حذو أندري مارتيني)». (علوي، مايو 2017، ص ص. 271-272)

وقف الوظيفيّون والسيّاقيّون جنبا إلى جنب لدعم آراء وأفكار الباحثين اللّسانيّين الإدراكيّين، الذين حملوا على عاتقهم تصحيح عديد من النّقاط والمبادئ الخاطئة، التي جاء بها علماء اللّسانيّات في القرن العشرين، إذ «وبحسب لانغاكير فإنّ التيّار المسمّى اللّسانيّات الإدراكيّة ينتمي إلى التّقاليد الوظيفيّة وهذا يعني أنّه بخلاف المقاربات الصّوريّة لم يعد ينظر إلى اللّغة

باعتبارها نظاما مستقلا بل باعتبارها وجها أساسا من وجوه الإدراك (وليست "قالبا" منفصلا أو "ملكة ذهنيّة" مستقلّة)، ومن ثمّ فإنّ البنية اللّغويّة يتمّ تحليلها بقدر الإمكان في إطار الأنظمة والقدرات الأساسيّة (مثل: الإدراكيّات الحسيّة، والانتباه والتّصنيفات) التي لا يمكن فصل عراها عنها». (علوي، مايو 2017، ص. 272)

وعليه نجد أنّ اللّسانيّ لانغاكير يقرّ بأنّ اللّسانيّات الإدراكيّة وجه من وجوه اللّسانيّات الوظيفيّة، وأنّ اللّغة ليست ملكة ذهنيّة مستقلة بل قدرة إدراكيّة لا غير، «وتعود بدايات اللّسانيّات الإدراكيّة إلى حوالي سنة 1975، وهي السّنة التي استخدم فيها لايكوف مصطلح (اللّسانيّات الإدراكيّة) للمرّة الأولى، فخلال هذه المرحلة تخلّى لايكوف عن محاولاته المبكّرة لتطوير علم الدّلالة التّوليديّ من خلال دمج نحو تشومسكي التّحويليّ بالمنطق الصّوريّ، وكما أكّد لايكوف خلال حوار له مع بروكمان (2000) كان نوام يدّعي –وأستطيع أن أقول أنّه مازال يدّعي حتى الآن- أنّ التّركيب مستقل عن المعنى، والسّياق، والخلفيّة المعرفيّة، والذاكرة والتّشغيل المعرفيّ، والقصد التّواصليّ وكلّ مظاهر الجسد». (علوي، مايو 2017، ص ص. 272-273)

ومنه نجد أنّ لايكوف هو أوّل من استخدم مصطلح اللّسانيّات الإدراكيّة في محاولاته المستميتة في تطوير ما يسمّى بعلم الدّلالة التّوليديّ، التي نقض فيها بعض أفكار نوام نعوم تشومسكي، «إلّا أنّ لايكوف قد لاحظ خلال عمله في علم الدّلالة التّوليديّ وجود حالات قليلة يندرج فيها علم الدّلالة والسّياق وعوامل أخرى من هذا القبيل ضمن القوانين التّي تحكم تساوقات الجمل والمورفيمات وتنتج ما يسمّيه التّوليديّون حالات شاذة وفي الوقت نفسه أدرك لايكوف أنّ الصّور البلاغيّة كالاستعارة والكناية ليست فقط مجرّد تنميقات لغويّة أو الأسوء من ذلك انزياحات بل هي جزء من الكلام اليوميّ الذي يؤثّر على طرائق الإدراك والتّفكير والفعل، لقد استهل تعاونه مع الفيلسوف مارك جونسون سنة 1979، وألّفا كتابهما المشترك (الاستعارات التي نحيا بها) سنة 1980، وكان أوّل تأليف يلفت نظر جمهور واسع إلى اللّسانيّات الإدراكيّة». (علوي مايو 2017م، ص. 273)

استنتج لايكوف ندرة إدراج السّياق والدّلالة ضمن مبادئ تضبط تساوقات الجمل، كما أنّ الصّور البيانيّة بأنواعها هي صور من التّعابير اليوميّة في لغتنا، والتي تعبّر عن طرق تفكيرنا، فهي ليست مجرّد زخارف وتنميقات لفضيّة، ومنه «تحاول اللّسانيّات العرفانيّة تركيز مزيد من الجهود للاستعلام والتّحقيق حول المعرفة اللّغويّة وعلى وجه الخصوص محاولة بناء أوصاف مقنعة حول طبيعة وخصائص المعرفة القائمة عند المتكلّم في نفس حال تكلّمه وحديثه، وبعبارة أخرى ما الذي يعرفه النّاطق المتقن والملم باللّغة في أثناء استعماله لهذه اللّغة؟ فمن الواضح أنّه يعرف الكثير

لكن الأدلّة والمعطيات المتراكمة حول طبيعة هذه المعرفة وخصائصها تؤكّد باستمرار أنّها ليست ذلك النّوع الأحادي الجانب من المعلومات اللّغويّة أو النّحوية المقترحة في التّصوّر التّوليديّ للقواعد العالميّة وعلى الأرجح نحن أمام ظاهرة أكثر اتّساعا وأبعد غورا تشكّل جزء أصيلا وحتميّا من ظاهرة الإدراك والمعرفة عند بني البشر». (حيدور،2017، ص. 304)

وممّا هو معروف عن اللّسانيّات العرفنيّة رغبتها في تسليط الضوء حول طبيعة المعرفة اللّغويّة للمتكلّم، أثناء وبعد تكلّمه، وهذا ما يعرف بالإدراك الإنسانيّ، وقد «ظهر ميدان اللّسانيّات العرفانيّة بوصفه فرعا من العلوم العرفانيّة يهتمّ حصريّا بتطبيق هذه المقاربة في تطوير علوم اللّسان، وكان عبارة عن منحى في البحث برز الاهتمام به خلال السّبعينات وتحقّق له التّرسيم خلال الثّمانيّات عقد المؤتمر الدوليّ الأوّل للسانيّات العرفانيّة سنة 1989 احتضنته مدينة دويشبرغ الألمانيّة وبعد ذلك بعام صدرت مجلّة اللّسانيّات العرفانيّة». (حيدور، 2017، ص. 305)

تسعى اللّسانيّات العرفنيّة إلى تطوير وتعديل مفاهيم علوم اللّسان بصفة عامّة، وهذا ما أسهم في رقي هذا العلم وانتشاره، والمعروف باللّسانيّات العرفنيّة، والتي تعدّدت المصطلحات التي وضعت لترجمته، «وهناك ثلاث فرضيّات أساسيّة تقود جهود البحث في اللّسانيّات العرفانيّة وهي:

- اللّغة ليست قدرة معرفيّة منفصلة أو مستقلّة عن بقية القدرات الأخرى.
- القواعد اللّغويّة هي نوع من التّجريد يبني مفاهيم وتصوّرات.
- المعرفة اللّغويّة تنبثق من استعمال اللّغة وتداولها». (حيدور،2017، ص. 306)

وعليه نستنتج أنّ اللّغة قدرة مرتبطة بباقي قدرات الإنسان الأخرى، وهذه اللّغة هي قدرة معرفيّة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالقواعد اللّغويّة التّجريديّة، والتي تسهم في بناء التّصوّرات وإيضاح جلّ المفاهيم، فباستعمال اللّغة في حياتنا اليوميّة يتشكّل لنا ما يسمّى بالمعرفة اللّغويّة، «ويبحث ميدان اللّسانيّات العرفانيّة في عديد من القضايا أهمّها ما يلي:

- البحث عن نماذج تمثيليّة للقواعد المعرفيّة والفضاءات الذهنيّة.
- البحث في نماذج الاكتساب اللّغويّ.
- البحث في الأسس العصبيّة للغة البشريّة.
- البحث في بناء الأدلة والمقاييس المعتبرة للمعرفة اللّسانيّة». (حيدور،2017، ص. 306)

تعنى اللّسانيّات العرفنيّة بالأفضية الذهنيّة، والمفاهيم العصبيّة والدماغيّة والذهنيّة والنّفسيّة، والاكتساب اللّغويّ، إضافة إلى مختلف القواعد المعرفيّة اللّسانيّة لبني البشر.

2- النّظريّة الاستعاريّة في العلوم العرفنيّة:

من بين أهمّ النّظريّات اللّغويّة التي اهتمّت بها العلوم العرفنيّة بتنوّعها، نجد الاستعارة اللّغويّة العرفنيّة، إذ «تعتبر اللّسانيّات المعرفيّة أنّ الاستعارة سمة مركزيّة في اللّغة الطبيعيّة وتقوم على بنية مجال تصوريّ معيّن من خلال مجال تصوريّ آخر، ومن خصائص الاستعارة إنتاج التوسّع الدّلاليّ؛ أي إبداع دلالات جديدة. ويستدل اللّسانيّون المعرفيّون على أنّ الاستعارة تتجلّى عبر مختلف الظواهر اللّغويّة وتشكّل دليلا إضافيّا لصالح مبدأ التّعميم». (الشمريّ، د-ت، ص.5)

ترى اللّسانيّات المعرفيّة أنّ أهميّة ومركزيّة الاستعارة تكمن في هيكلة وبناء تصوّر لغويّ قائم على تصوّر آخر؛ بغية إنتاج دلالات منوّعة من خلال تنوّع الظّواهر اللّغويّة في اللّغة الإنسانيّة، وعليه «تهتمّ اللّسانيّات العرفانيّة (بالمشابهة) نظرا لأهميّتها في اكتساب المعرفة حيث يستفيد الإنسان من المشابهة في شؤون حياته المختلفة فهو يستفيد منها في حلّ المشاكل واتّخاذ القرارات وإنتاج السّلوك، وذلك من خلال حمل التّجربة الجديدة عند التّعامل معها على تلك التّجارب السّابقة المشابهة لها المخزّنة في عقله وقد ركّزت دراسات اللّسانيّات العرفانيّة على دور (المشابهة) من خلال مبحث (الاستعارة)» (بن منصور، 2017، ص. 451)، إذ تسلّط اللّسانيّات العرفنيّة الضوء على خصيصة مهمّة في الجانب اللّغويّ للمتكلّم، وهذه الخصيصة هي ما يعرف بالمشابهة، والتي تسهم في اكتساب مختلف المعارف اللّغويّة من خلال عقد مقارنة تشابهيّة بين مختلف التّجارب الجديدة المشابهة للتّجارب القديمة، التي تمّ برمجة حيثيّاتها في ذهن وعقل الإنسان، ومن هنا بدأ الاهتمام يمد جذوره إلى أنّ وصل إلى الاستعارة التي تعتمد على «فهم مجال تصوريّ واحد في ضوء مجال تصوريّ آخر» (بن منصور، 2017، ص. 452)، أو بعبارة أخرى يمكن القول أنّه «يكمن جوهر الاستعارة في كونها تتيح فهم شيء ما (وتجربته [أو معاناته] انطلاقا من شيء آخر». (لايكوف وجونسون، 2009، ص. 23)

من هذا المنطلق نجد أنّ الاستعارة اللّغويّة في اللّسانيّات العرفنيّة ما هي إلّا تصوّرات ذهنيّة نفسيّة، بحيث يصطلح عليها بأنّها «عمليّة ذهنيّة تقوم على التّقريب بين موضوعين أو وضعين وذلك بالنّظر إلى أحدهما من خلال الآخر ويسوغ التّقريب بواسطة ملاحظة علاقة ذات طبيعيّة جواريّة وتشبيهيّة ثمّ إنّ الاستعارة لا تنتج وتدرك انطلاقا من السّمات المشتركة فقط بل من خلال هذه السّمات والسّمات الخلافيّة كذلك حيث يتأسّس التّفاعل بين الطرفين الذي يؤدّي إلى وحدتهما وبالتّالي رفض دخول الأداة». (سليم، 2001، ص. 57)، إذ لا تعتمد الاستعارة في اللّسانيّات العرفنيّة على خاصيّة المشابهة فقط، وإنّما بوجود عوامل أخرى مختلفة، تسهم في بلورة التّفاعل بين طرفين تحكمهما علاقة المشابهة، «وتسمّى اللّسانيّات العرفانيّة المجال الأوّل

الذي يستعار منه باسم: المصدر، في حين يسمّى المجال الذي يستعار له باسم: الهدف». (بن منصور، 2017، ص. 452)، وعليه نجد أنّ اللّسانيّات العرفنيّة قد اتّخذت لمبحث الاستعارة مصطلحين دقيقين للتّعبير عن المستعار والمستعار له، وهما مجالي: المصدر، والهدف، ومنه "يشير مصطلح (العلوم العرفانية) إلى اتّجاه كبير في البحث العلميّ المعاصر يعمل على جمع كلّ المشاريع والجهود النّظريّة والتّطبيقيّة التي تدرس الإدراك البشريّ بوصفه ظاهرة اتّصاليّة عابرة للتّخصّصات للخروج بمقاربة جديدة تعالج المشاكل والصّعوبات التي أنتجتها المقاربات السّابقة سواء فيما يتعلّق بالفهم والتّفسير أو الاستثمار الانتفاعيّ بحصاد هذه المعرفة، يعتمد في هذا المسعى على مصادر موسّعة عابرة للتّخصّصات العلميّة الضيّقة لعلّ أقربها وأولاها: علوم اللّسان الفلسفة العامّة، فلسفة العلوم، الحاسوبيّات، وعلوم الأعصاب». (حيدور، 2017، ص. 301)

حري بالبيان أنّ العلوم العرفنيّة هو مصطلح شامل لمختلف الجهود التي تظافرت لدراسة الإدراك البشريّ، بعده نقطة مهمة في عديد من التّخصّصات، وذلك بغية إيجاد حلول منطقيّة تدور حول إزالة اللّبس عمّا يعرف بالفهم والتّفسير، «كما تبحث العرفانيّات الحديثة في مجالات مركّبة ترصد فيها دور العقل وأنماط الاستدلال في تواصلها وتقاطعها داخل النّشاط اللّسانيّ المنجز، أربعة من هذه المجالات تمثّل القاسم المشترك لجمهرة مقدورة من خبراء الميدان يأتي بيانها:

- التّركيب والبناء في العقل والمعرفة.
- النماذج التمثيليّة للمعرفة.
- موارد المعرفة ومصادرها.
- الأجهزة المولّدة للمعرفة». (حيدور،2017، ص. 301)

فمن بين اهتمامات اللّسانيّات العرفنيّة نجد اهتمامها البارز والجليّ بدور العقل، وأنماط استدلالاته، وإسهامه في بلورة المعرفة اللّغويّة اللّسانيّة.

3- أسس نظرية الاستعارة العرفنيّة ومبادؤها:

تقوم نظريّة الاستعارة في مجال اللّسانيّات العرفنيّة على عديد من الأسس والمبادئ، إذ «نجد أنّ لايكوف وجونسون يستعملون مفاهيم الأصل ومفاهيم الهدف لتحليل التّركيب الدّاخليّ للاستعارات، إذ يعتبر خطاب الأصل هو الخطاب الذي يقدّم مفاهيمه للخطاب الهدف باعتبار الأوّل يمكن الوصول إليه والثاني يتلاءم معه» (عروسي، 2015، ص ص. 29-30)، ومنه يعدّ مصطلح الأصل أو المصدر هو تلك الخطابات التي تسهم في تقديم المفاهيم المختلفة للهدف، الذي هو الآخر يلائم المصدر ويشابهه، «ومن المهمّ أيضا أن نضيف أنّ نقطة الانطلاق بالنّسبة للايكوف وجونسون (1980) هي مستوى فلسفيّ يسمّونه (الاتّجاه التّجريبيّ) ممّا يعني أنّ مجالات المصدر هي

أبعاد أقرب بكثير أو محاذية للتّجربة الجسديّة وأنّ مجالات الهدف هي أكثر تجريدا ممّا يؤدّي بشكل عامّ إلى أن يستورد المجال الأخير المعنى من المجال الأوّل وبما أنّ الاستعارات التّصوريّة تأتي من تفاعلنا مع التّجربة وفيها تنتج منها مثل الاستعارات الاتّجاهيّة - فرح أعلى، وحزين أسفل- فإنّها تظهر لغويّا والاستعارات اللّغويّة في مستوى التّعابير هي تجليّات الاستعارات التّصوريّة في مستوى الفهم والتّفكير والتّصوّرات والاستعارات التّصوريّة تعرض إسقاطات نسقيّة بين المجالات ولكنّها في الوقت نفسه استعارات انتقائيّة وهذا يعني أنّها تكشف عن جوانب معيّنة من التّجربة وتخفي جوانب أخرى» (عاشق، 2018، ص ص. 190-191)، فقد انطلق روّاد اللّسانيّات العرفنيّة في دراستهم للاستعارة من منطلق تجريبيّ، معتمدا فيه المصدر على التّجربة الجسديّة بخلاف الجسد، الذي هو أكثر تجريدا، بحيث يأخذ معناه من مجال المصدر بطبيعة الحال، ومن بين الاستعارات التي تعتمد على التّجربة نجد الاستعارة الاتّجاهيّة.

- الاستعارة ذات طبيعة تصوريّة، وما الاستعارة اللّغويّة إلّا تجل من تجليّاتها.
- إنّ نظامنا التّصوريّ قائم في جزء كبير منه على أسس استعاريّة.
- إنّ الاستعارة حاضرة في كلّ مجالات حياتنا اليوميّة، وممارساتنا التّجريبيّة.
- إنّ وظيفة الاستعارة هي تمكيننا من تمثّل أفضل للمفاهيم المجرّدة وليس فقط لغايات جماليّة وفنيّة.
- المشابهة ليست قائمة في الأشياء بل في تفاعلنا مع هذه الأشياء.
- الاستعارات التّي نحيا بها هي نتاج تصوّراتنا الثّقافيّة وأي استعارات خارج هذه التّصوّرات الثّقافيّة التّجريبيّة قد تؤدّي إلى تعطيل عمليّة الفهم والتّواصل». (البوعمرانيّ، 2009، ص. 124)

تتميّز الاستعارة بطبيعتها التّصوريّة، بحيث أنّ النّظام التّصوريّ للإنسان يكاد لا يخلو من الأسس الاستعاريّة، التي هي مبثوثة في ثنايا تجاربنا الحياتيّة، فالاستعارة لا تحمل أغراضا فنيّة وشكليّة فقط، وإنّما تسهم في إيضاح وبلورة المفاهيم المجرّدة، من خلال تفاعلنا مع الأشياء بواسطة عمليّة المشابهة، وعليه فإنّ الاستعارة جزء من التّعابير اليوميّة للمرء، والتي تحمل تصوّرا ثقافيّا وفق التّجارب التي تبرمج عمليتي الفهم والتّواصل لدى الإنسان، «وهذا يعني أنّ دور المشابهة لا يقتصر على الدّور الجماليّ الذي يجعلها خاصّة بالأدباء والشعراء، بل إنّها مهمّة حتى لإدراك الإنسان العادي ممّا يعني وجودها في فكره ولغته كأداة للفهم والإفهام» (بن منصور، 2017، ص. 452)، وترتبط الاستعارة بالمشابهة؛ وهي أداة مساهمة في الفهم والإفهام، لدى مدركات الإنسان عامّة، «ويمكننا إيجاز أسس نظريّة الاستعارات الإدراكيّة فيما يلي:

1/ الاستعارة في مفهومها الإدراكيّ عمليّة فكريّة مرتبطة بالنّسق التّصوريّ عند الإنسان وهي التي تجعل العقل البشريّ ينظّم العالم في صورة مفاهيم يختزنها ويربط بينها.

2/ الاستعارة جزء من حياتنا اليوميّة وليس هناك من طريق للحديث عن المفاهيم المجرّدة دون الاستعانة بالاستعارة.

3/ الاستعارات اللغويّة لا تقوم على المشابهة بقدر ما تقوم على الرّبط بين مجالين؛ أحدهما: (المجال/ الهدف) والآخر: (المجال/ المصدر).

4/ الاستعارات لها أساس داخل التّجربة الجماعيّة الفيزيائيّة والثقافيّة، كما أنّها تؤثّر في ذات الوقت على تجربة وسلوك هذه الجماعة» (جنان، 1434هـ/ 2013، ص ص. 21-22).

تقوم نظريّة الاستعارة الإدراكيّة على أسس تسهم في جعل عقل الإنسان يربط بين المفاهيم في العالم الخارجيّ، بحيث أنّ الاستعارة لها صلة وثيقة بتجربة الجماعة الفيزيائيّة والثقافيّة.

4-قيمة الاستعارة العرفنيّة:

للاستعارة العرفنيّة قيمة وفائدة جليّة وواضحة في حياة وتجارب الإنسان، الذي يستعملها بكثرة إذ «تتصدّر الاستعارة بشكل كبير بنية الكلام الإنسانيّ، إذ تعدّ عاملا رئيسا في الحفز والحثّ، وأداة تعبيريّة، ومصدرا للتّرادف وتعدّد المعنى، ومتنفّسا للعواطف والمشاعر الانفعاليّة الحادّة، ووسيلة لملء الفراغات في المصطلحات» (أبو العدوس، 1997، ص. 11)، وعليه نلمح أنّ الاستعارة أداة تعبيريّة مهمّة في الخطابات اليوميّة، فبمختلف هذه التّعابير يستطيع المرء أن يعبّر عن كلّ ما يجول في خاطره من مكنونات، «إذا كانت الاستعارة مسألة طبيعيّة في التّفكير الإنسانيّ، يحيا بها الإنسان، ويفكّر ويعبّر بها، فإنّه يأخذ عناصر هذه الاستعارة وموادها الخام من البيئة المحيطة به» (الملجمي، 2015، ص.345).

تسمح بيئة الإنسان بمختلف التّجارب التي يعيشها فيها، بأن يشكّل خطابات استعاريّة تسهم في بلورة وتطوير تفكيره، ومنحه مساحة أوسع للتّعبير، «وعند الحديث عن العلاقة والتّرابط والمشابهة تفرض الاستعارة نفسها، إنّها وسيط مهمّ بين الذهن البشريّ وما يحيط به من كائنات حيّة وغير حيّة، فبواسطتها يفسّر الملتبس والمبهم، وتتجاوز كثير من العراقيل التّواصليّة» (سليم 2001، ص. 57)، وعليه تعدّ الاستعارة عاملا فعّالا في ربط الذّهن البشريّ بالعالم الخارجيّ وفق خاصيّة التّفسير والإيضاح، «يستخدم الإنسان البيئة استعاريا في نظامه التّواصليّ، فهي مخزونه الفاعل والحي في كلّ عمليّة تواصليّة استعاريّة» (الملجمي، 2015، ص. 346) إذ تعدّ الاستعارة همزة وصل بين المتخاطبين في بيئة معيّنة، وفق ما يعرف بدورة الكلام الحاوية لعنصر التّواصل، «ومن

هنا برزت واقعيّة جديدة تنظر إلى المعنى باعتباره ناتجا عن ذلك التفاعل بين المتكلم والبيئة التي يعيش فيها». (جحفة، 2000، ص. 56)

تسعى الاستعارة العرفنيّة إلى تسليط الضوء على نقطة جوهريّة، ألا وهي المعنى الذي هو خلاصة التّفاعل بين المتكلم والبيئة وزبدته؛ «لأنّ إنتاج المعاني الاستعاريّة يتطلّب هذا التّفاعل لبناء عمليّة تواصليّة حيّة وحياتها في تجدّدها المستمر، فالنّظام اللّغويّ يأخذ عناصره أو مواده الخام من البيئة، وهذا الاستخدام الاستعاريّ للبيئة هو نوع من التّواصل الحي بين الإنسان والبيئة عبر النّظام اللّغويّ، فالاستعارة عمليّة ديناميكيّة تعتمد في نظامها التّواصليّ على تفاعل الدّلالات (دلالات عناصرها)، كما تعتمد على تفاعل الذّات المتكلّمة مع موضوعها الاستعاريّ وديناميكيّة الاستعارة تعني استمراريّة الحركة الفاعلة، فالاستعارات خلق جديد، وابتكار دائم يخلقه النّظام اللّغويّ الذي ينتجه الإنسان معتمدا على عناصر البيئة» (الملجمي، 2015، ص. 346)، إذ تعمل الاستعارة على خلق تعابير ومفاهيم تضاف إلى النّظام اللّغويّ وتسهم في فهم عناصر البيئة الخارجيّة لبني البشر عامّة، «إنّ الإنسان يتفاعل مع بيئته، لينتج تواصلا حيّا، عن طريق الاستعارة في مستويين: الأوّل: عندما يكون الإنسان متكلّما، والبيئة المواد الخام التي يختار منها عناصره الاستعاريّة، ليخلق تعبيرا استعاريّا جديدا، والآخر: عندما يكون الإنسان طرفا في التّعبير الاستعاريّ الذي طرفه الآخر البيئة، وعلى ذلك، فإنّ الاستعارة في ضوء النّظريّة التّفاعليّة تجعل علاقة الإنسان بالبيئة علاقة تفاعليّة وتواصليّة حيّة داخل النّظام اللّغويّ؛ لأنّ النّظام اللّغويّ مرتبط بالتّصوّر والتّفكير، والتّفكير عمليّة مستمرّة مع استمرار البشريّة، وستبقى الاستعارة عمليّة مستمرة وفاعلة وحيّة تجسّد علاقة الإنسان ببيئته» (الملجمي، 2015، ص. 348)، لذلك تقوم عمليّة التّواصل على مختلف التّفاعلات اليوميّة في التّجربة الحياتيّة، بين المرء ومحيطه الخارجيّ، ومنه «تعطي اللسانيات العرفانيّة اهتماما كبيرا للاستعارة بوصفها إحدى أهم آليات التفكير والمعرفة التي يعتمد عليها العقل الإنساني بشكل كبير» (بن منصور، 2017، ص. 452)، وعليه فإنّ الاستعارة هي جوهر مهمّ في عمليّة التّفكير البشريّ، وبلورة المعارف الإنسانيّة، «فقد انتهينا إلى أنّ الاستعارة حاضرة في كلّ مجالات حياتنا اليوميّة إنّها ليست مقتصرة على اللّغة بل توجد في تفكيرنا وفي الأعمال التي نقوم بها أيضا إنّ النّسق التّصوريّ العادي الذي يسيّر تفكيرنا وسلوكنا له طبيعة استعاريّة بالأساس (...) وإذا كان صحيحا أنّ نسقنا التّصوريّ في جزء كبير منه ذو طبيعة استعاريّة فإنّ كيفيّة تفكيرنا وتعاملنا وسلوكاتنا في كلّ يوم...، ترتبط بشكل وثيق بالاستعارة» (لايكوف وجونسون، 2009، ص. 21) لذلك تأخذ الاستعارة نصيب الأسد من تعابيرنا اليوميّة في حياتنا المعيشيّة، وذلك لما لها من أهميّة بالغة في إيضاح جوانب غامضة من تفكيرنا

وسلوكيّاتنا المختلفة، وقد «رأينا أنّ نسقنا التّصوريّ أساسه تجاربنا في العالم فكلّ التّصوّرات المنبثقة بشكل مباشر (مثل: فوق- تحت، والشّيء- والمعالجة المباشرة) والاستعارات (مثل: السّعادة فوق، والجدال حرب) لها أسسها في تفاعلنا المستمر مع محيطنا الفيزيائيّ والثّقافيّ وكذلك الشّأن بالنّسبة للأبعاد التي تبني تجربتنا (مثل: المقاطع، والأطوار، والأغراض،... إلخ) إذ تنبثق بشكل طبيعيّ من نشاطنا في العالم، وهذا النّوع من النّسق التّصوريّ الذي نملكه ناتج عن نوعنا باعتبارنا كائنات، وعن الكيفيّة التي نتفاعل بها مع محيطنا الفيزيائيّ والثّقافيّ». (لايكوف وجونسون، 2009، ص ص. 129-130)

ليبني الإنسان نسقا تصوريّا عليه أن يعود إلى مختلف تجاربه الفيزيائيّة والثّقافيّة المختلفة في بيئته، «وهذا يعني أنّ الأمور الماديّة والمعنويّة في حياتنا يتمّ فهمها فهما تجريبيّا ماديّا ففهم الماديّات فهما تجريبيّا ماديّا هو فهم مباشر (غير استعاريّ) وأمّا المعنويّات فيتمّ فهمها من خلال الاستعانة بتجاربنا الماديّة التّجريبيّة أي أنّنا نفهمها استعاريّا وهذا يعني أنّ الإنسان يستسقي من تجاربه الخاصّة ليفهم بها الواقع من حوله فكثير من الموضوعات المجرّدة يفهمها الإنسان فهما استعاريّا من خلال حملها على التّجارب الماديّة المخزّنة في عقله ولهذا يلحظ أحد الباحثين حضور الاستعارة بقوّة عند الحديث عن التّجارب المعنويّة ذلك أنّ الإنسان يلجأ إلى الاستعارة أكثر عندما يتحدّث عن أمر معنويّ لأنّه سيلجأ إلى استعارة بعض التّجارب الحسّية من حياته ليعبّر بها عن هذا الأمر المعنويّ» (بن منصور، 2017، ص. 453)، أي يعتمد الإنسان على الاستعارة في فهم الأشياء الغامضة المحيطة به في بيئته، بالاستعانة بمخزونه العقليّ، في تفسير عديد من الأمور المعنويّة خاصّة، وذلك باستحضار التّجارب الحسيّة المنوّعة، وعليه «إنّ الإنسان يحمل في ذهنه مخزونا من المفاهيم الاستعاريّة التي تشكّلت من خلال التّجارب التي مرّت بها حياته أو التي شكّلتها الثّقافة والتّراث الذي يعيش فيه ومن خلال ذلك يفهم الإنسان بعضا ممّا حوله فهما استعاريّا إنّه حسب هذه الرؤية يعاين كثيرا من الأشياء التي يحياها في ضوء أشياء أخرى بوعي أو دونه، وتشكّل هذه المفاهيم والتّصوّرات الاستعاريّة كثيرا من مواقفه الحياتيّة وعباراته اليوميّة وهو ما يعني أنّ ثمّة بنى ذهنيّة استعاريّة مشتركة في العقل الإنسانيّ هذه البنى الفكريّة الاستعاريّة المشتركة هي ما أسمته اللّسانيّات العرفانيّة (المفاهيم الاستعاريّة) وهذه المفاهيم الاستعاريّة هي استعارات تقليديّة موجودة في وعي الإنسان العادي والشّاعر المبدع على حد سواء وتنعكس هذه المفاهيم الاستعاريّة على حياة الإنسان بالكامل بما في ذلك لغته فتؤدّي إلى حصول التّعبيرات الاستعاريّة الممثّلة لتلك التّصوّرات" (بن منصور، 2017، ص. 454)، لذلك فإنّ الإنسان يفهم عديدا من التّجارب فهما استعاريّا سواء بقصد منه أو دون قصد، بحيث يسقط عدّة أمور على أمور أخرى

وفق ما عاشه، وهذا ما يدعى بالمفاهيم الاستعاريّة التي هي نتاج حاصل لدى النّاس عامّة دون تخصيص، ممّا يسهم في تطوير تعبيراته الاستعاريّة خاصّة ولغته عامة، ومنه فإنّ «التّعبيرات الاستعاريّة ليست صوغا لغويّا فحسب، بل هي نتاج مفاهيم استعاريّة حيث تفرّق اللّسانيّات العرفانيّة بين الاستعارة بوصفها تصوّرا ذهنيّا والاستعارة بوصفها صياغة لغويّة إذ يؤكّد جورج لايكوف ومارك ترنر أنّ من الضروريّ لأيّ مناقشة في الاستعارة أن تفرّق بين المفهوم الاستعاريّ الرّئيس الذي هو معرفيّ بطبيعته وبين التّعبيرات اللّغويّة المحدّدة لتلك التّصوّرات الاستعاريّة وتنشأ جميع التّعبيرات الاستعاريّة عن فكرة مهيمنة في أذهان النّاس تسمّى: المفهوم الاستعاريّ أو الاستعارة المفهوميّة والفرق بين التّعبير والمفهوم يكمن في أنّ المفهوم الاستعاريّ موجود في العقل الإنسانيّ في حين أنّ التّعبيرات الاستعاريّة موجودة في الكلام اللّغويّ والمصدر المولّد لها هو المفهوم الاستعاريّ» (بن منصور، 2017، ص. 453)، لذلك يمكن القول أنّ هناك فرق جلي بين الاستعارة اللّغويّة العادية والاستعارة الذهنيّة، كما أنّ ذهن وعقل الإنسان يحتوي على مفاهيم استعاريّة، أمّا كلامه اللّغويّ فيحتوي على تعبيرات استعاريّة منوّعة تتولّد من خلال تلك المفاهيم الاستعاريّة الموجودة في عقله، ولكي يتمّ تحديد نقاط الافتراق بينهما سندرج مثالا توضيحيّا لذلك:

لو لاحظنا بعضا من كلام الناس العادي في حواراتهم الاجتماعيّة المختلفة كحديثهم ووصفهم موضوع (الجدال) على سبيل المثال، نجد أنّ الاستعارة حاضرة حضورا بارزا، بحيث تمثّل جملة الأمثلة المدرجة أدناه دلائل على علاقة الاستعارة الوثيق بالفكر وليس باللّغة فحسب، بحيث نجد عديدا من الناس ممّن يعبّر عن وصف أي جدال ما من خلال قولهم: (لايكوف وجونسون 2009، ص ص. 22-23)

- لا يمكن أن تدافع عن ادّعاءاتك.
- لقد هاجم كلّ نقط القوة في استدلالي.
- أصابت انتقاداته الهدف.
- لم أنتصر عليه يوما في جدال.

إنّ تلك الأفعال الموضّحة في الأمثلة هي عبارة عن جملة من الألفاظ المستخلصة من حقلها الأصليّ والأوليّ وهو (الحرب) ومستعملة في سياق لغويّ مغاير تماما وهو سياق (الجدال) ومنه يمكن إطلاق مصطلح يصلح لها هو تسميتها (بالتّعبيرات الاستعاريّة) لهذا نجدها جليّة في تعابير النّاس العادية في حياتهم اليوميّة بشكل غير ملحوظ بحيث لا ينتبه الواحد إلى استعاريتها في حين نجدها أيضا تنبثق من (مفهوم استعاريّ) ذهنيّ واحد إذ نجدها كلّها مأخوذة من المفهوم الاستعاريّ (الجدال/ حرب) ومنه نستنتج أنّ أيّ إنسان كان يفهم الجدال من خلال الحرب فهو ينتقي

ويستعير ما يخصّ الحرب من ألفاظ ليفهم به الجدال ويعبّر به عن مصطلح الجدال في حياته اليومية، وهذا المفهوم الاستعاريّ المتواري في ذهن البشر هو الذي أنتج لنا تلك التّعابير الاستعاريّة الموضّحة في المخطّط أدناه:

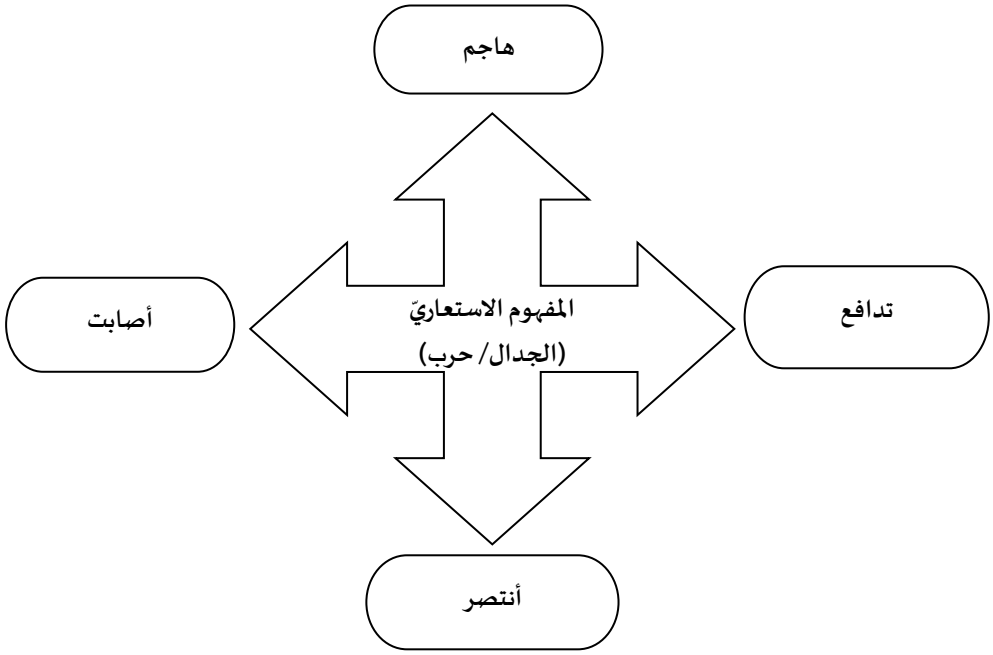

المخطّط رقم 01: المفهوم الاستعاريّ و إنتاج التّعابير الاستعاريّة

5- الأسس النّظريّة للاستعارة الفضائيّة:

5-1- تجليّات الاستعارة الفضائيّة ونشأتها:

نجد أن الاستعارة الاتجاهية هي جزء لا يتجزأ من الاستعارة الفضائية الذهنية بعامة «ترتبط الاستعارة الفضائيّة بصنف الاستعارة الاتّجاهيّة باعتبارها نسقا كاملا من التّصوّرات المتعالقة ذات التّوجيه الفضائيّ القائمة على تجربة الفرد الفيزيائيّة والثّقافيّة» (لايكوف وجونسون، 2009، ص.115)، أي تقوم على التّجارب الحياتيّة الفيزيائيّة والثّقافيّة المختلفة للإنسان في بيئته، ومحيطه الخارجيّ الذي يعيش فيه، «فالاستعارة في ضوء هذا النّمط تنتظم في إطار توجّه فضائيّ من قبيل: عال، مستفل، داخل، خارج، أمام، وراء، فوق، تحت... إلخ، إلّا أنّ هذا التّوجه الفضائيّ النّاظم لهذا النّوع من الفهم الاستعاريّ ينضبط لقواعد تجريبيّة وثقافيّة تمنحه الانسجام والقصدية وتنأى به عن مجال الاعتباطية» (العامريّ، 1440هـ/2019،

ص.211)، لذلك فإنّ الفهم الاستعاريّ لمختلف التّعابير يعدّ فهما دقيقا لا فهما عشوائيّا اعتباطيّا بحكم أنّه يحتكم إلى قواعد تجريبيّة تجعله أكثر انسجاما وقصديّة.

2-5- طبيعة الاستعارة الفضائية وبنيتها:

تكمن فائدة الاستعارة في فهم المفاهيم والاستدلال المجرّدين، فالاستعارة وسيلة لتبسيط وفهم أكثر النّظريّات استعصاء، فالاستعارة تصوريّة في طبيعتها وليست لغويّة بحتة، فاللّغويّة ليست إلّا تجلّ سطحيّ للصّورية، كما أنّ الاستعارات المختلفة هي ترسيمات عبر مجالات تصوّرية وتلك التّرسيمات جزئيّة وغير متماثلة الأطراف، بحيث نجد أنّ كلّ ترسيم عبارة عن مجموعة ثابتة من التّناظرات الأنطولوجيّة بين الكيانات في مجال الانطلاق والكيانات في مجال الوصول، وعليه نجد أنّ التّرسيمات الاستعاريّة تخضع لمبدأ الثّبات وهي ترسيمات تصوّرية وترسيمات الصور (لايكوف، 2014، ص ص. 79-80)، ومنه «تعدّ الاستعارة التّصوريّة الآلية الرّئيسة التي من خلالها ندرك تصوّرات مجرّدة ونقوم بتفكير مجرّد فالكثير من المواضيع من العادية جدّا إلى النّظريّات العلميّة الأكثر تعقيدا لا يتحقّق فهمها إلّا عن طريق الاستعارة وهي تصوّريّة وليست لغويّة من حيث طبيعتها ورغم أنّ كثيرا من نسقنا التّصوريّ استعاريّ يبقى جزء منه غير استعاريّ والفهم الاستعاريّ يقوم على أساس الفهم غير الاستعاريّ كما تتيح لنا الاستعارة التّصوريّة فهم مواضيع نسبيا مجرّدة أو بطبيعتها غير مبنية وذلك بواسطة مواضيع ملموسة أكثر أو على الأقل أكثر بينيّة» (العامريّ، 1440هـ/2019، ص.211)، أي تسهم الاستعارة في فهمنا لعديد من التصورات المجردة فهما نسبيا لا غير.

3-5- أركان الاستعارة الفضائية وعناصرها:

تحتوي الاستعارة الفضائيّة الذهنيّة على عديد من العناصر والأركان والتي بفضلها ومنها «انتقد التّفاعليّون المنظور الاستبداليّ من جهة كونه يقتصر على اعتبار الاستعارة مسألة لغويّة إنّها حسب التّفاعليّون تفاعل بين فكرتين نشيطتين معا، تحملهما كلمة واحدة أو مركّب واحد ويبدأ التّفاعل بملاحظة السّمات المشتركة بين الفكرين النّشيطين، ثمّ يتمّ الانتقال إلى وحدة تشملهما معا ناتجة عن التّفاعل لا النّقل، وتجدر الإشارة إلى أنّ الوحدة النّاتجة عن التّفاعل لا تعني عمليّة إضافة بسيطة للطّرفين إلى بعضهما، إنّ الاستعارة عمليّة ذهنيّة يؤخذ فيها بعين الاعتبار المؤتلف والمختلف ليشكّل الكلّ وحدة» (سليم، 2001، ص.63)، وعليه نجد أنّ الاستعارة تنتج من التّفاعل الحاصل بين فكرتين، تجمعهما سمات معيّنة مشتركة، سواء أكانت هذه السمات سمات مختلفة أو مؤتلفة، «وتربط طرفي الاستعارة علاقة تكمن في علاقة التّلاحم والتّقارب لدرجة أن يصير شيئا واحدا، وهو ما يجعل من الاستعارة لدى أرسطو تتربّع عرش خانة التّطابق. وهذا

استجاب لدعوة فلسفيّة تؤمن بالوجود المستقل في ذاته لموضوعات العالم، حتى تغدو اللّغة حينها مرآة تقوم بنسخ موضوعات وأشياء العالم وترجمتها في نسق سيميائيّ دال» (يوسف، 2005، ص. 121)، وتتّسم الاستعارة بوجود علاقة تحكم أركانها وأساسيّاتها، وهي علاقة الارتباط الوثيق والمتين، ومنه فإنّ اللّغة تعدّ كالمرآة التي تعكس لنا حيثيّات العالم الخارجيّ المجرّدة، فتقوم بتصويرها وتفسيرها تفسيرا منطقيّا دالّا.

4-5-خصائص الاستعارة الفضائيّة:

تتّسم الاستعارة العرفنيّة عامة والاستعارة الاتّجاهيّة الفضائيّة الذهنيّة خاصّة بعديد من السّمات التي ميّزت اللّغة، إذ «تتميّز الاستعارة بخصائص تتمثّل في دقة العلاقات في الرّبط الخرائطيّ بين المصدر والهدف، ويطلق على هذه الخاصيّة الأولى مسمّى (الوضوح)، فكلّما كانت تلك المحمولات متنوّعة زادت كثافة حمولة الاستعارة وثرائها في مجال المصدر نحو مجال الهدف أمّا الخاصيّة الثانيّة فتسمّى (الثّراء)، الذي يعمل ويتكاتف بالموازاة مع الوضوح، فحين يرتفع الثّراء ينخفض آليا الوضوح وتطغى سمة الغموض» (غيلوس، 2020، ص. 81)، وعليه فإنّ أهمّ خصائص الاستعارة تكمن في نقطتين اثنتين، وهما: الوضوح والثّراء، اللّذان يسهمان في رسم خطوط العلاقة بين المصدر والهدف، كما هو موضح في المخطّط أدناه:

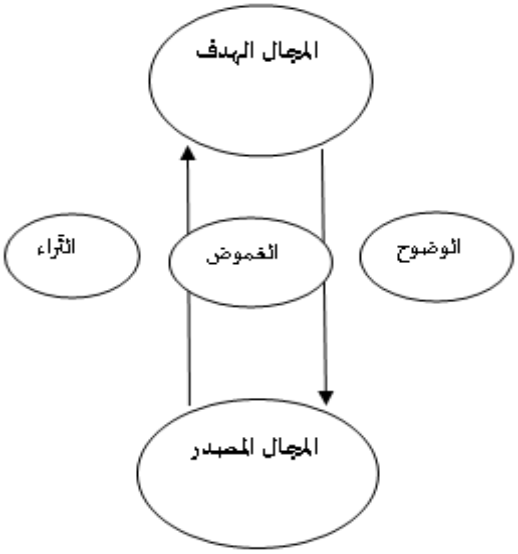

المخطّط رقم 02: خصائص الاستعارة من خلال العلاقة بين المصدروالهدف

6- الاستعارة الاتّجاهيّة؛ مبادئ مؤسِّسة:

6-1- مفهوم الاستعارة الاتّجاهية:

تعدّ الاستعارة الاتّجاهيّة من أهمّ الاستعارات في اللّغة، كون هذه الأخيرة ترتبط ارتباطا وثيقا بالذّهن؛ «لأنّ أغلبها يرتبط بالاتّجاه الفضائيّ: عال- مستفل، داخل- خارج، أمام- وراء، فوق- تحت، عميق- سطحي، مركزي- هامشي. وتتّبع هذه الاتّجاهات الفضائيّة من كون أجسادنا لها هذا الشّكل الذي هي عليه، وكونها تشتغل بهذا الشّكل الذي تشتغل به في محيطنا الفيزيائيّ، وهذه الاستعارات الاتّجاهيّة تعطي للتّصوّرات توجها فضائيّا» (لايكوف وجونسون، 2009، ص. 33)، ومنه فإنّ الاستعارات الاتّجاهيّة بأنواعها المختلفة تسهم في رسم تصوّرات فضائيّة في ذهن ودماغ الإنسان، ليفهم هذه الصّور ويربطها بواقعه وعالمه الخارجيّ.

6-2- أثر الاستعارة الاتّجاهية:

للاستعارة الاتّجاهيّة العرفنيّة آثار مختلفة في إدراك الإنسان، وفهمه للواقع المعيش، ومنه فإنّ «بناء بعض الأنساق اعتمادا على تجربتنا الفضائيّة باعتبارنا كائنات تحدّدنا الاتّجاهات مثل الأعلى والأسفل واليمين واليسار والمركز والهامش ... إلخ، وهكذا تعلّمنا تجربتنا مثلا أنّ الأشياء الإيجابيّة تكون فوق والسلبيّة تحت ويسمّى هذا الصّنف من الاستعارة بالاستعارة الاتّجاهيّة ونلاحظ -كما أكرّر دوما- تنميط الدّماغ لكلّ هذه المسائل» (طعمة، 2017، ص. 410)، أي نجد أنّ مختلف تجاربنا تسهم في بناء الأنساق الفضائيّة المختلفة، حسب الاتّجاهات، وحسب المنطق، باعتماد الدّماغ والعقل، فالأمور الإيجابيّة تكون أعلى مرتبة ورقيّا من الأمور السلبيّة، التي هي في اتّجاه الحضيض وهو الاتّجاه الأسفل.

6-3- نسقيّة التّصوّرات الاستعاريّة:

تتّسم التّصوّرات الاستعاريّة باختلافها واختلاف اتّجاهاتها بكونها بنى منسّقة تنسيقا، إذ «أنّ أوّل ما نرشّحه من التّصوّرات التي تفهم بشكل مباشر هي التّصوّرات الفضائيّة البسيطة، مثل فوق، فالتّصوّر الفضائيّ فوق نابع من تجربتنا الفضائيّة، فنحن نملك أجسادا ونقف منتصبين وكلّ حركة نقوم بها تتطلّب في الغالب برنامجا حركيّا قد يغيّر من اتّجاهنا فوق- تحت، أو يحافظ عليه أو يقتضيه، أو يأخذه بعين الاعتبار بشكل من الأشكال، فنشاطنا الفيزيائيّ المستمرّ في العالم قائم، حتّى خلال نومنا، على الاتّجاه فوق- تحت الذي ليس واردا في نشاطنا الفيزيائيّ فحسب، بل إنّه مركزيّ فيه. ومركزيّة هذا الاتّجاه في برامجنا الحركيّة، وفي "اشتغالنا" (وفعلنا) اليوميّ، قد يجعلنا نعتقد أنّه لا يمكن أن يوجد ما يعوّضه موضوعيّا» (لايكوف و جونسون، 2009، ص. 77)، إذ تحوي الاستعارات العرفنيّة الذهنيّة على استعارات بسيطة تفهم بشكل مباشر كالاستعارة

الاتّجاهيّة، التي تفهم من خلال مختلف نشاطاتنا الفيزيائيّة، التي نمارسها في مختلف تجاربنا التي نعيشها على أرض الواقع، «توجد رغم ذلك أطر ممكنة عديدة في الاتّجاه الفضائيّ، بما في ذلك التنّاظرات الديكارتيّة التي لا تملك في ذاتها الاتّجاه فوق- تحت فالتّصوّرات الفضائيّة البشريّة تتضمّن، بالإضافة إلى الاتّجاه فوق- تحت، الاتّجاهات أمام- وراء وداخل- خارج، وقريب- وبعيد... إلخ، وهذه التّصوّرات هي التي نستخدمها في اشتغالنا الجسديّ اليوميّ المستمر. وهذا الاشتغال هو الذي يعطي أسبقيّة لهذه التّصوّرات على بنيات فضائيّة أخرى ممكنة لدينا». (لايكوف وجونسون، 2009، ص. 77)

إضافة إلى الاستعارات الاتّجاهيّة الفضائيّة نلمح اتّجاهات مكانيّة ليس لها علاقة بالاتّجاه (فوق، تحت)، لكنّها مستخدمة بكثرة في اشتغالاتنا الممارسة اليوميّة، «... ولكنّه على عكس ذلك ينظّم نسقا كاملا من التّصوّرات المتعالقة، وسنسمّي هذا النّوع بالاستعارات الاتّجاهيّة(...)، كما في التّصوّر التّالي: السّعادة فوق، فكون تصوّر السّعادة موجّها إلى أعلى هو الذي يبرّر وجود تعابير من قبيل: (أحسّ أنّني في القمّة اليوم)» (لايكوف وجونسون، 2009، ص.33) إذ تتكاتف الاستعارات الاتّجاهيّة وتنتظم وتشكّل بنية متناسقة من التّصوّرات الفضائيّة الذهنيّة، التي تعتمد على الاتّجاه، سواء أكان اتّجاها إيجابيّا أم سلبيّا، حسب ما يقتضيه ذلك التّصوّر، لذلك «إنّ استعارات اتّجاهيّة كهذه ليست اعتباطيّة، وتوجد مرتكزاتها في تجربتنا الفيزيائيّة والثقافيّة، ورغم أنّ التّقابلات الثنائيّة بين فوق وتحت، أو بين داخل وخارج... إلخ، لها طبيعة فيزيائيّة فإنّ الاستعارات الاتّجاهيّة التي تنبني عليها قد تختلف من ثقافة إلى أخرى، ففي بعض الثّقافات مثلا، يوجد المستقبل أمامنا، في حين أنّه في ثقافات أخرى يوجد خلفنا» (لايكوف وجونسون، 2009، ص. 33)، لذلك نستنتج أنّ الاستعارات الاتّجاهيّة ليست عشوائيّة، ولا تنبع من عدم، وإنّما هي مستقاة من مختلف التّجارب التي نحاكيها في حياتنا اليوميّة، سواء أكانت تجاربا ثقافيّة أم فيزيائيّة، بحيث تتنوّع الاستعارات حسب تنوّع اللّغات، «إنّ التّصوّرات التي يفترض أنّها عقليّة مثل تصوّرات نظريّة علميّة ما، ترتكز غالبا- وربّما دائما- على استعارات ذات أساس فيزيائيّ أو ثقافيّ، فتصوّر العلوّ في (الجزئيّات ذات الطّاقة العليا) يوجد أساسه في استعارة الأكثر فوق، وتصوّر السّمو في (الوظائف السّامية) في علم النفس الفيزيولوجيّ مثلا، أساسه استعارة العقلانيّ فوق، كما أنّ الاستفال في (المستوى الصواتي المستفل) الذي يحيل على بعض المظاهر الفوناتيكيّة (الأصواتيّة) المفصّلة للأنسقة الصّوتيّة للّغات، يوجد أساسه في استعارة الواقع الأرضيّ تحت (كما في عبارة سفليّ في الأرض) فالإغراء الحدسيّ الذي تمارسه علينا نظريّة علميّة ما سببه ملاءمة استعاراتها لتجربتنا». (لايكوف وجونسون، 2009، ص. 38)

وكما أشرنا آنفا أنّ الاستعارة الاتّجاهيّة الفضائيّة مرتبطة ارتباطا وثيقا بالأساس الفيزيائيّ الثقافيّ، فتصوّر ذهننا للعلوّ والرّقي بالأساس يرتبط بالفوقيّة، أمّا تصوّر ذهننا للنّزول والرّكود والهبوط فإنّه يرتبط بالتّحتيّة والاستفال، ومنه «تقدّم التّجربة الثّقافيّة والفيزيائيّة العديد من الأسس الممكنة لاستعارات التفضيّة، ولهذا السبب يمكن أن يختلف اختيارها وأهميّتها نسبيّا من ثقافة إلى أخرى، من الصّعب التّفريق داخل استعارة معيّنة، بين الأساس الفيزيائيّ والأساس الثقافيّ، إذ إنّ انتقاء أساس فيزيائيّ ما من بين أسس فيزيائيّة أخرى أمر مرتبط بالانسجام الثقافيّ» (لايكوف وجونسون، 2009، ص. 38)، إذ يعدّ الأساسان الفيزيائيّ والثقافيّ من الأسس المهمّة، التي تعدّ حاجزا مفصليّا للفصل بين استعارات التّفضيّة الاتّجاهيّة الذهنيّة، السعادة فوق، والشقاء تحت: إنّني في قمّة السعادة / إنّه يغوص في شقاء، الوعي فوق واللّاوعي تحت: إنّه ينهض باكرا في الصّباح/ سقط في غيبوبة عميقة، الصّحة والحياة فوق والمرض والموت تحت: إنّه في قمّة العافية/ لقد هوى من المرض، الهيمنة والقوّة فوق، والخضوع والضعف تحت: إنّه يمارس سلطته عليه/ إنّه في أسفل الدرك، الأكثر فوق، والأقلّ تحت: ارتفعت عائداتي في السّنة الفارطة/ لقد نزلت أرباحه هذه السنة، أحداث المستقبل المتوّقعة فوق (وفي الأمام): إنّني أتطلّع إلى غد مشرق/ إنّنا نتّجه نحو مستقبل مبهم، النّخبة فوق، والأغلبيّة تحت: إنّه في قمة المجد/ لقد تقهقر في وضعه الاجتماعيّ، الجيّد فوق، والرّديء تحت: تبدو الأشياء في تحسّن وارتفاع/ لقد وصلنا إلى النّقطة الأكثر انخفاضا، الفضيلة فوق، والرّذيلة تحت: إنّه فوق كلّ الشّبهات/ إنّه إنسان منحط، العقلانيّ فوق، والوجدانيّ تحت: أبعدنا أحاسيسنا فوصلنا إلى نقاش من مستوى ثقافيّ عال/ لم يكن باستطاعته التّعالي على انفعالاته. (لايكوف وجونسون، 2009، ص ص 34- 36).

4-6- الاسقاط الاستعاريّ الاتّجاهيّ:

يعتمد الفرد منا على إسقاطات استعاريّة مختلفة، تربط بين تصوّراته الذهنيّة وبين بيئته التي يعيش فيها، إذ «يخضع الإنسان يوميّا لتجارب تصوّرية، فيتعرّض ويخضع لتجربة الاتّجاهات الفضائيّة الفيزيائيّة، بحسب وضعيّة وتموقع الجسد في الفضاء واتّجاه الفضاء، في هذه الحالة ينتج عنها مفاهيم وتصوّرات كثيرة تعكس تفاعل الإنسان مع محيطه، ومن بينها ظروف المكان مثل: البحر أمامكم والعدوّ خلفكم، أو الجنّة تحت أقدام الأمّهات، أو مفاهيم من قبيل: مركز/ هامش مثل أنت على هامش اللّعبة. وغيرها من الاتّجاهات» (لايكوف وجونسون، 2009، ص. 33)، ومنه نجد أنّ الإنسان يربط بين اتّجاه الفضاء وتموقع الجسد في ذلك الفضاء، ليشكّل تصوّرات تسهم في بناء استعارات اتّجاهيّة مكانيّة، منتجة من تفاعل الإنسان مع محيطه وبيئته التي يعيش فيها، «تقوم الاستعارة من حيث بنيتها على الاسقاط ما بين المجالات وهو إسقاط جزئيّ غير تناظريّ

(غلبة المجال الهدف)، والإسقاط جملة من التّناسبات الثابتة ما بين الوحدات في المجال المصدر والوحدات في المجال الهدف» (الزناد، د-ت، ص.157)، وتقوم الاستعارة الاتّجاهيّة الفضائيّة على خاصيّة الإسقاط بين مجالين اثنين مهمّين، هما: مجال المصدر، ومجال الهدف، «تحدث الاستعارة وما يصاحبها من استدلال بإنشاط تلك التّناسبات التي يكون بها انعكاس قوالب المجال المصدر على قوالب المجال الهدف، ويخضع الاسقاط الاستعاريّ لمبدأ الثّبات، والإسقاط نوعان بحسب المصدر والهدف: إسقاط مفهوميّ يجري ما بين مفهومين أو مجالين مفهومين، وإسقاط الصّورة يجري ما بين صورتين، ولا اعتباط في الإسقاط وإنّما هو عمليّة متجذّرة في الجسد وفي المعرفة والتّجربة، ويتضمّن النّظام المفهوميّ الآلاف من الإسقاطات الاستعاريّة العاديّة منتظمة في أبنيّة مترابطة تمثّل بها فيه نظاما فرعيّا» (الزناد، د-ت، ص ص. 157-158)، ومنه نجد أنّ الإسقاط الاستعاريّ العرفنيّ يحكمه مبدأ أساس، وهو مبدأ الثّبات، الذي يلزم الإسقاط المفهوميّ وإسقاط الصّورة، وعليه فالإسقاط ليس عمليّة عشوائيّة بحت، ويتحدّد «دور الإسقاط في قيام الاستعارة: إنّه عمليّة إسقاط تناسبات (أي تشابهات) بين مجالين عنصرا بعنصر ومكوّنا بمكوّن، فنقوم بإسقاط المعارف المتعلّقة بالمجال الهدف، وتتمثّل عمليّة الاستعارة في قيام تلك التّناسبات، وهذا الإسقاط المفهوميّ متأصّل ما بين المجالات في الفكر، وتأصّله قائم على قوالب قارّة من التّناسب الأنطولوجيّ (أي العام المجرّد) ما بين المجالات فإذا انطبقت تلك القوالب على مجال ما حدثت الاستعارة، وإذا لم تنطبق تلك القوالب لم تحدث الاستعارة» (عطية، د-ت، ص ص. 64-65)، ومنه نجد أنّ الاستعارة لا تقوم إلّا على مبدأ الإسقاط الحتميّ لا العشوائيّ، فحدوث الاستعارة مقترن بانطباق تلك القوالب المسقطة على مجال ما.

7- الذّهن وبناء المعنى الاستعاريّ:

7-1- البناء الذّهنيّ وحركيّة المعنى:

يعدّ الذّهن السّمة المائزة التي تسهم في بلورة واكتساب المعارف، وتفسيرها وتحليلها وتنظيمها؛ «فالذّهن نظام شامل ونشاط كامل لاكتساب المعارف والمعلومات، والعمل على تخزينها وتنظيم بنياتها الإدراكيّة، وتشغيل برامجها المعرفيّة؛ قصد توظيفها متى استدعت الحالة الذّهنيّة لذلك، ويتحدّث جاكندوف عن التّفاعل الحادث في الذّهن البشريّ بين مجموعة من المدخلات (أي مصادر المعلومات الدّاخلة للذّهن)، التّي تتم بواسطتها عمليّة التّفكير داخل الذّهن، بما يعرف بالتّمثيل الذّهنيّ» (جعفري ولحمادي، د-ت، ص. 569)؛ أي يعدّ الذّهن -ومختلف بنياته الإدراكيّة وما يحدث من تفاعل بينها- المصدر الأساس، المساهم في برمجة وتخزين وتحليل المعلومات، والمعارف والعلوم المكتسبة من التّجارب اليوميّة المعاشة على أرض الواقع، واستعادة هذه المعارف

لاستخدامها في سياقها المحوج إليها، وفي مختلف عمليّات التّفكير الحاصلة، وعليه «إنّ قول جاكندوف هذا يحدّد دور الذّهن في فهم الأشياء وكيفيّة التّفكير فيها وبنيتها وفق مستويات التّمثيل الذّهنيّ، ثمّ يؤكّد أنّ إغفال هذه المستويات يجعل من استعمال اللّغة مستحيلا في إيصال المعلومات والإخبار عنها» (جعفري ولحمادي، د-ت، .569)، ومنه نجد أنّ للذّهن الدّور الأساس في عمليّة التّفكير وبلورة الصّور الذّهنيّة، لفهم الأشياء التي نراها ونحلّلها في بيئتنا إذ «بهذا المعنى تكون اللّغة مرتبطة بالذّهن في مستوى معالجته لمختلف الأنشطة البشريّة، ولذلك فإنّها تكون مندمجة مع القدرات الذهنيّة الأخرى للبشر، على أنّ القول بارتباط اللّغة بالعرفان البشريّ يعود إلى نظريّة الجشطالت، ومن أبرز أطروحاتها التي استلهمها العرفانيّون: القول بأنّ الذّهن البشريّ هو الذي يبنين الكون وينظّمه، وأنّ الأفراد يبنون أشكالا بها يدركون الوضعيّات وأنّ طريقة عمل الذّهن تكون بناء على التّركيز على الثوابت» (قريرة، 2011، ص. 15)؛ أي تسهم اللّغة بمساعدة الذّهن على بنينة وتنظيم الأنشطة المختلفة، التّي نمارسها في حياتنا، وذلك بمساعدة عديد من القدرات الذهنية المخزّنة لدى المرء، لذلك "إنّ المنعرج الحاسم الذي استطاعت النّظريّة العرفانيّة للاستعارة تحقيقه يتمثّل في سعيها إلى ولوج ثنايا الذّهن البشريّ من أجل فهم كيفيّة اشتغاله أثناء عمليّة إنتاج وفهم وتأويل البنيات الاستعاريّة التي أضحت آليّة عرفانيّة تبنين نظامنا التّصوريّ وتحكمه؛ لأنّ جزء كبيرا منه قائم على أسس استعاريّة» (جعفري ولحمادي، د-ت، ص.570)، فقد كانت من بين أهمّ النّقاط التي سعت اللّسانيّات العرفنيّة إلى فهمها عمليّة اشتغال الذّهن البشريّ في فهم وتحليل البنى الاستعاريّة على تنوّعها، والتي تحكم وتبنين النّظام التّصوريّ للإنسان بصفة عامّة.

المخطّطات الاتّجاهيّة الفضائيّة:

تستخلص عدّة مخطّطات ثنائيّة الاتّجاهات الفضائيّة من التّجارب الماديّة والمحيط الفيزيائيّ، ووضعيّة الجسد البشريّ وكيفيّة اشتغاله، ممّا يضفي هذا المخطّط توجّها فضائيّا لنسقنا التّصوريّ، نحو: فوق/ تحت، خارج/ داخل، أمام/ وراء...إلخ، أضف إلى ذلك أنّ خطّاطة المسار والتي تكون فيها المسارات مرتكزة على: المصدر (نقطة الانطلاق)، الهدف (نقطة النّهاية) الأماكن المتوالية (الرّابطة بين المصدر والهدف)، وخطّاطة الدّورة كدورات الأزمنة باختلافها، مثل: اليوم، الشّهر، السّنة...إلخ.

وعليه نجد أنّ الإنسان بطبعه يستعمل الاتّجاهات الثنائيّة في حياته اليوميّة للتّعبير عن رغباته وحاجيّاته ومكنوناته وذلك من خلالها، كتعبيره عمّا يصيبه من حالات عاطفيّة إيجابيّة تعبّر عن الفرح والعلوّ على أساس تجربة فيزيائيّة فوقيّة مثل: نطّ الولد من السّعادة، فما جاء على هذه

المخطّطة التّصوريّة هو استعارة، فالسّعادة هنا ليست فضاء كونيّا فيزيائيّا لأنّها ليست أمرا مادّيا محسوسا ذا علاقة بالنّط والقفز ولكن بما أنّها أمر مطلوب وإيجابيّ يستعار لها لفظة نطّ للإشارة إلى قوّة رفعها ودفعها للمعنويّات والحالة الشّعوريّة إلى الأعلى والأفضل أمّا العواطف السلبيّة كالإحباط والفشل يعبّر عنها باتّجاه فضائيّ سفليّ أو تحتيّ. (سليمي وراستكو، 1438هـ، ص ص. 43-44)

7-2- دور الذّهن في عمليّة الفهم وتجلي بنية الاستعارة الاتّجاهيّة الفضائيّة:

ممّا لا شكّ فيه أنّ للذّهن البشريّ الدّور الهام والبارز في مختلف عمليّات تفكيرنا وبرمجتنا للمعارف والعلوم، بحيث أنّ «الذّهن أساس الفهم؛ فبالذّهن يدرك الإنسان ما حوله ويتفاعل معه، وعلى أساس من الذّهن وعمله جاءت الاستعارة المفهوميّة لتثبت دورها في عمليّة الفهم، فهي وسيلة من وسائل الذّهن في الفهم، ولكن هناك تعارض فيما يتعلّق بالعقل (الذّهن) طبيعة، ومادّة واشتغالا، بين النّظريّة الفلسفيّة الكلاسيكيّة، وما جاءت به النّظريّات العرفانيّة، أي ما بين الرّؤية الموضوعيّة والرؤية الواقعيّة التّجريبيّة» (عطية، د- ت، ص. 61)، وعليه نرى أنّ الإنسان يستطيع بمعونة الذّهن فهم حيثيّات واقعه ليتعايش معه، من خلال استخدام مدركاته الذّهنيّة والتي تعرف بالتّمثيل الذّهنيّ، الذي يسهم في معالجة المعلومات وفهمها فهما دقيقا، ويظهر التّعارض الذي تحدّثنا عنه في ثلاث نقاط؛ فالنّقطة الأولى متمثّلة في أنّ النّظريّة الفلسفيّة ترى أنّ فكر البشر يشتغل على عدّة رموز مجرّدة بشكل آلي أتوماتيكيّ فالذّهن عبارة عن آلة صمّاء مجرّدة تعالج مختلف الرّموز، فهذه الأخيرة عبارة عن تمثيلات ذهنيّة ترتبط بمناسبتها وتلاؤمها للأشياء في أرض الواقع، فالمعنى يحتاج إلى التّناسب بين الذّهن والأشياء في العالم الخارجيّ، وعليه تعدّ الرّموز والذّهن والفكر مرآة سليمة تناسب وتعكس حال الأشياء في الواقع الخارجيّ، **والنّقطة الثّانية** متمثّلة في **الجسد** الذي يعدّ سوى أداة يقودها ويوجّهها فكرنا، باعتبار الفكر هيئة قائمة بذاتها مستقلّة عمّا يسمّى بالجسد، فالفكر يقوم على خصيصة التّخيّل والتّمثيل والإبداع، وذلك باستعانة الفرد منّا على الصّور البيانيّة كالمجاز والاستعارة وغيرهما، في حين أنّ الجسد يسهم في إدراك جلّ المفاهيم بنوعيها: المعنويّة، والمادّية المجهولتين بالنّسبة له، فيحوّر من جسده وإدراكه له مرجع وأساسا لفهم وإدراك المفاهيم المختلفة، أمّا النّقطة الثّالثة فهي متمثّلة في التّفكيك فالفكر بطبعه ذري قابل للتّجزئة إلى رموز وجزئيّات جدّ بسيطة، كما يقبل التّركيب بالتّوليف الذي تحكمه جملة من القواعد قصد تكوّن وإنشاء وحدات مركّبة. (عطية، د-ت، ص ص. 61-62).

8- تجليّات الاستعارة الفضائيّة الاتّجاهيّة من الوجود إلى التّمثيل الذّهنيّ في قصيدة أنا ثائر لمفدي زكرياء:

تحدثنا في هذا المقال عن الاستعارة العرفنيّة الاتّجاهيّة، التي نستعملها في حياتنا اليوميّة فنحن نفسّر عديدا من الأمور في تجاربنا المعاشة بالاتّجاه، فمثلا نربط عادة الأمور الإيجابيّة التي تحصل معنا بمصطلح فوق، والأمور السلبيّة التي تحزننا بمصطلح تحت، فمثلا لدينا في عاداتنا الأعلام تنزل وتنتكس في حال حدوث نكبة وأمر محزن وطارئ، لكن في حال ما إذا حدث أمر مفرح يسعدنا كالانتصارات وغيرها، فإنّك تجد العلم يرفرف عاليا شامخا.

وقد حضر هذا النّوع من الاستعارات في قصيدة أنا ثائر لمفدي زكرياء، والتي هي إحدى قصائد ديوانه اللّهب المقدّس، الذي يعدّ ديوانا ثريّا وقيّما، يشعل في نفوس الجزائريّين شرارة وحماسا تجاه الثّورة الجزائريّة، والوطن الحبيب، بحيث تراءى لنا ونحن نقرأ قصيدته (أنا ثائر) قراءة متفحّصة ممعّنة، محاولين تفسير وتأويل بعض التّعابير الحاوية على الاستعارات القائمة على الاتّجاهات الفضائيّة، وسنورد بعض النّماذج فيما يلي:

النّموذج الأول، قال مفدي زكرياء: (مفدي، د- ت، ص. 108)

وَينَادِي... فَتُنَاجِيه البَنَادق-
فِي الشَّواهق
عَاصِفَات
يَا بِلَادِي... فَتُنَاغِيه الصَّوَاعِق-
بِالمَوَاحق
صَارِخَات
فَوقَ هَامَات الجَبَابِر!
وَيغَنِّي، فَوقَ أَعْوَادِ المَشَانِق
فَتُحَيِّيه، الخوافق

تحوي هذه الأشطر استعارات عرفنيّة اتّجاهية وذلك؛ لأنّنا نستعمل في فهمها مرتكزات وأساسيّات الفضاء، إذ نجد أنّ الشّاعر مفدي زكريّاء في قصيدته أنا ثائر التي ضمّنها في ديوانه اللّهب المقدّس، قد وضع نفسه في مقام الثّائر الشّامخ الذي يرافقه مجد البنادق في الجبال الشّامخات الشّاهقات في الأعالي والشّواهق، وقد استعمل الشّاعر في تجسيده لمختلف هذه الأوصاف تصوّرات استعاريّة، هذه التّصوّرات استمدها من ثقافته المعاشة على أرض الواقع، ومن تقاليده وأعرافه وسننه، وظروفه السّائدة آنذاك، باعتبارها متحقّقة فضائيّا في المكان الأعلى أي

فوق، فالمجاهدون في أعالي الجبال ثائرين ومعهم بنادقهم عاصفين في الشّواهق، وضد ذلك نجد المستعمر الغاشم الجبان في الأسفل؛ أي تحت.

وقد عبّر الشّاعر عن هذا المعنى باستعماله لثنائيّة (فوق، تحت) بطريقة غير مباشرة متحدّثا عن مساندة الصّواعق في السّماء عاليا (فوق) للثّائر على ظلم المستعمر الغاشم، فينادي الثّائر بلاده فتلبّي الصّواعق نداءه بالعصف فوق هامات (رؤوس) الجبابر (الطّغات)، فتسحق القوّة العليا تغطرس القوّة الغاشمة للعدوّ (المستدمر الفرنسيّ)، ومنه فإنّ هذه الأشطر ترسم لنا التّصور القائم على تشريف المكان الأعلى، من خلال استعمال جلّ تعابير وأوصاف الشموخ والقوّة والعظمة، فاستعمال ألفاظ من قبيل: (الشّواهق، الصّواعق، فوق هامات) إحالة على المكان العالي علوّ السّماء، أعلى الجسد، وعليه نجد أنّ الشّاعر قد عبّر عن غضبه وثورته بالمكان العالي ومنه فإنّ إدراكنا للفضاء بهذه الطريقة جعلنا نرى بعض المظاهر المجرّدة من خلاله، وذلك قائم على ارتباط بثقافتنا و أعرافنا وتقاليدنا المختلفة في مجتمعنا.

النّموذج الثّاني؛ يقول مفدي زكريّاء: (مفدي، د-ت، ص.110)

وطن عُـبِّدَ بالأشلاء طُرُقًـا

وتجلى

يَمْلَأُ الدُّنْيَا دَويه

أنصروه، تبعثُوا فِي الأَرْضِ شَرقًا

مُسْتَقِلًّا

لَا يُمَالِي الأَجنبيا!!...

نلمح أنّ في هذه الاستعارة الاتّجاهيّة الفضائيّة المبنيّة على الذّهن تمّ ربط الأشلاء (جثث الأموات) بطرق الأرض، بحيث نجد أنّ الأرض ترتبط بالمكان السفليّ التّحتيّ، وهذا بالرّجوع إلى ثقافتنا وديننا الإسلاميّ، فجثث الموتى تنزل أسفل الأرض بعد أن كانت فوقها، وعليه فإنّ الموت الذي هو مقرون بالأرض في الأسفل نقيض الحياة، التي هي مقرونة بالخلود في الفوق والعلوّ فموت الأجساد وسقوطها أمر مقرون بطبيعة الحال بالأرض، وهي مستقرّ تلك الأجساد الميّتة التي تحتاج إلى دفن تحتها، والطرق في قوله (وطن عُـبِّدَ بالأشلاء طُرُقًـا) هو فضاء أرضيّ، بحيث تشمل الطّريق والرّصيف أين تسقط الجثث والأشلاء استعاريّا، فطرق الوطن لا تبنى وتعبّد بالأشلاء وإنّما هي تعابير مجازيّة، تعبّر عن هول ما لاقاه الجزائريّون إبّان الاستدمار الفرنسيّ، وإشارة للأحداث السياسيّة والظّلم السّائد آنذاك، والتي عانى منها الشّعب الجزائريّ الذي رغب في الانتفاض وحقّق النّصر بثورته وشجاعته على العدوّ الغاشم.

النّموذج الثالث؛ يقول مفدي زكرياء: (مفدي، د-ت، ص. 109)

كَبّلُوني-
دنسُوا أَرضَ الحمَى.
غَسَلُوهَا بِالدِمَا
طهرُوهَا
وَلتبارِكْهَا السمَا

تتأسّس الاستعارة الاتّجاهيّة على ذلك التّفاعل القائم بين الأساس الفيزيائيّ وذهن الإنسان والأساس الثقافيّ، وعليه فإنّ عبارة (كبلوني، دنسوا أرض) في تعبير مفدي زكرياء تعبّر عن معنى الخضوع والسّقوط والاستسلام، وذلك وفق تجاربنا المعاشة ومتصوّراتنا الذّهنيّة، فالخضوع حركة نفسيّة تصحبها حركة جسديّة فيزيائيّة، متمثّلة في جلوس الجسم جاثم الركبتين وتكبيل اليدين، فهذا تعبير عن معنى الفشل والانهزام والخضوع تعبير مجرد، يقوم على متصوّرات ذهنيّة مرتبطة بعالمنا المتجّسد، ويكون ذلك جرّاء إسقاطنا للمعنى الحسيّ للفعل (كبلوني، دنسوا) على التّصوّر المجرّد لفكرة الفشل والخضوع والاستسلام الموجودة في ذهننا، ومنه نجد أنّ عنصر المستعار منه لفظة (تحت) الحاوية لعديد من المعاني ومنها معاني السّفلية التّحتيّة، والمستعار له مبني على أساس ما هو مجرّد؛ أي بمعنى الفشل والخضوع والاستسلام والتّسفّل تحت.

ومن هذه الاستعارة المعبّرة على الخضوع والاستسلام "تحت"، نفهم أنّ تصوّرنا للخضوع قائم على تجربتنا الفيزيائيّة، ومنه فإنّ الاتّجاه الفضائيّ "تحت" يدلّ على مسار التّسفّل (أسفل) وبما أنّ السّفليّة عبارة عن فضاء فإنّه لزام علينا من أن نجعل من التّصوّر المجرّد (الفشل والاستسلام) خاضعا هو الآخر للتفضيّة، فشاعرنا مفدي زكرياء استعمل في قصيدته "أنا ثائر" استعارة من قبيل: (الخضوع والفشل= تحت)، وذلك تعبيرا عن شعوره بالإحباط والانهيار، فقد جعل الشّاعر نفسه في حالة استسلام وخضوع وتكبيل، وهذا لإحساسه بقهر وظلم العدوّ وتصوّره هذا ليس تصوّرا عشوائيّا وإنّما قائم على أساس نسق ثقافيّ في مبادئ الشّاعر، فأيّ إنسان في متصوّره الذّهنيّ الثّقافيّ ترتفع أحيانا معنوياته، وذلك عندما يكون في حالة نفسيّة جيّدة ورائعة والعكس صحيح، وفي الجدول الآتي توضيح للاستعارات الواردة في تلك الأبيات:

الاستعارة الاتّجاهيّة الفضائيّة	الاتّجاه	الدّلالة
وَينَادِي... فَتُنَاجِيه البَنَادق- فِي الشَّواهق عَاصِفَات يَا بِلَادِي... فَتُنَاغِيه الصَّوَاعِق- بِالمَوَاحق صَارِخَات فَوقَ هَامَات الجَبَابِر! وَيغَنِّي، فَوقَ أَعْوَادِ المَشَانِق فَتُحَيِّيه، الخَوافِق	الشّواهق: أعلى. الصّواعق: فوق. فوق هامات: أعلى. فوق أعواد: أعلى. الخوافق: فوق.	أعلى: قوّة. فوق هامات/ أعواد: عدم الخضوع والاستسلام. فوق: جبروت، قوّة إلاهية.
وطن عُبِّدَ بالأشلاء طُرُقًا وتجلى يَمْلَأُ الدُّنْيَا دَوِيه أنصروه، تبعثُوا فِي الأَرْضِ شَرقًا مُسْتَقِلًّا لَا يُمَالِي الأَجنبيا!!...	عُبِّدَ بالأشلاء طُرُقًا: أسفل. الأرض: تحت.	أسفل: الفَنَاء والموت. تحت: السّقوط والضّعف.
كَبَلُونِي- دنسُوا أَرضَ الحمَى. غَسَلُوهَا بِالدِمَا طهرُوهَا وَلتبارِكْهَا السمَا	دنّسوا أرض: أسفل.	أسفل: عثوا في الأرض فسادا.

- خاتمة:

يمكننا أن نخلص في ختام هذا المقال إلى أنّ الاستعارة العرفنيّة الذّهنيّة التي تحدّث عنها لايكوف وجونسون، قد أثارت نقاطا هامّة حول طبيعة هذه الظّاهرة الذّهنيّة، وسلّطت الضوء حول التّفكير البشريّ وكيفيّة انبنائه استعاريّا، ومنه معرفة وجود أنساق من التّصوّرات الاستعاريّة المشكّلة للذّهن البشريّ، ومحاولة منّا البرهنة على تصوّريّة هذه الاستعارات العرفنيّة والاتّجاهيّة على وجه التّحديد، وذلك بتحليل اللّغة المستخدمة في النّتاج الأدبيّ الشّعريّ في قصيدة "أنا ثائر" لمفدي زكرياء، والمضمّنة في ديوانه "اللّهب المقدّس"، والتي تعدّ كيانا فاعلا ومحورا رئيسا لإنتاج معاني ومفاهيم الواقع، وذلك بتسليط الضّوء على جلّ التّفاعلات الحاصلة داخل المجتمع وإيديولوجياتهم المختلفة، وتصوّراتهم، ومعارفهم الذّهنيّة، والفكريّة والثّقافيّة السّابقة، والتي تسهم في خلق فضاء من التّحاور مع القرّاء لهذه القصيدة، وعليه يتوسّع مجال تأويلهم بتعدّد

المعاني في أذهانهم وتوسيع فضائه، ممّا يستدعي لتفاعل المستمع معها، وهكذا يتمّ تعزيز تلك التّصوّرات برموز واستعارات فاعلة.

كما قد توفّرت قصيدة "أنا ثائر" لمفدي زكرياء على أشكال استعاريّة متفاعلة فيما بينها فالاستعارة الاتّجاهيّة التي ضمّنتها هذه القصيدة تنتج رموزها اللّغويّة وبنيتها النّسقيّة من البنية الفضائيّة، التي يجول فيها شاعرنا، ومنه فإنّ الاستعارة أسهمت في بنينة الخطاب في القصيدة وفق التّجارب الفيزيائيّة المرتبطة بعالم الشّاعر، فاستعماله لمعاني (أعلى/ فوق، أسفل/ تحت) إنّما هي من باب التّعبير عن الحالات الشعورية المختلفة للشّاعر: (الضّعف، السّقوط، الاستسلام الخضوع، الموت، الانتصار، القوّة، الجبروت..).

- قائمة المراجع:

- أبو العدوس، ي. (1997). الاستعارة في النّقد الأدبيّ الحديث الأبعاد المعرفيّة والجماليّة. عمان: الأهلية للنّشر والتّوزيع، المملكة الأردنيّة الهاشميّة.
- بن منصور التّركيّ، إ. (2017). البعد الفكريّ والثّقافيّ للاستعارة في البلاغة العرفانيّة. مجلّة فصول, 25(100).
- بنت عبد العزيز التّميميّ ج، (1434) .هـ/ 2013) .الزّمن في العربيّة من التّعبير اللّغويّ إلى التّمثيل الذّهنيّ (دراسة لسانيّة إدراكيّة) .الرياض: من إصدارات كرسي الدّكتور عبد العزيز المانع للدراسات اللّغة العربيّة وآدابها، جامعة الملك سعود.
- البوعمرانيّ، م .(2009) .دراسات نظريّة وتطبيقيّة في علم الدّلالة العرفانيّ، صفاقس، تونس: دار نهى.
- جحفة ع، (2000) .م .(مدخل إلى الدّلالة الحديثة .المغرب: دار توبقال للنّشر.
- جعفري، ع.، ولحمادي، ف . (د- ت) .الاستعارة والنّظريّة العرفانيّة .مجلّة العلوم الاجتماعيّة والإنسانيّة.(15)
- حيدور, ع (ديسمبر 2017) .اللّسانيّات العرفانيّة ومشكلات تعلّم اللّغة واكتسابها .دراسة لغوية، العلامة.(5)
- الزناد، ا. (د-ت). نظريّات لسانيّة عرفانيّة. الدار العربيّة للعلوم ناشرون.
- سليم، ع ((2001) .بنيات المشابهة في اللّغة العربيّة مقاربة عرفانيّة .المغرب: دار توبقال.
- سليمي، ف.، وراستكو، ك (1438) .المخطّطات التّصوريّة ودورها في فهم مضامين الصّحيفة السّجاديّة الأخلاقيّة (على ضوء اللّسانيّات الإدراكيّة) .مجلّة اللّغة العربيّة وآدابها العدد 1.
- الشمريّ، غ. (د-ت). عن أسس اللّسانيّات العرفنيّة ومبادئها العامّة. السعوديّة: جامعة طيبة كية الآداب، بينبع.
- طعمة، ع (2017) .البناء العصبيّ للّغة، دراسة بيولوجيّة تطوّريّة في إطار اللّسانيّات العرفانيّة العصبيّة .عمّان/ الأردن: دار كنوز المعرفة للنّشر والتّوزيع.
- عاشق، (ديسمبر 2018) .ترجمة مقال الاستعارة والحجاج، مكانة الاستعارات التّصوريّة في العمل الحجاجيّ لكريستيان سانتيبانييث .في التّرجمة، المجلّد 06، العدد 1.
- العامريّ، ع. (1440هـ/2019م). المسارات الفضائيّة في اللّغة العربيّة. عمان: دار كنوز المعرفة للنّشر والتّوزيع.

- عروسي، م .(2015) .الرّهانات السياسيّة والاقتصاديّة للتّرجمة في عصر العولمة .جامعة جيلالي اليابس، تخصّص اللّسانيّات والتّرجمة، سيدي بلعباس، الجزار.
- عطية، س(د-ت). الاستعارة القرآنيّة والنّظريّة العرفانيّة .
- علوي، ح (مايو 2017) اللّسانيّات الإدراكيّة وتاريخ اللّسانيّات .مجلّة أنساق، المجلّد الأوّل العدد الأوّل.
- غيلوس، ص .(2020) .مباحث لسانيّة عرفانيّة .العلمة، الجزائر: البدر السّاطع للطّباعة والنّشر.
- قريرة، ت (2011) .الاسم والاسميّة والأسماء في اللّغة العربيّة، مقاربة نحويّة عرفانيّة . صفاقس/ تونس: مكتبة قرطاج للنّشر والتّوزيع.
- لايكوف، ج .(2014) .النّظرية المعاصرة للاستعارة .مكتبة الاسكندريّة.
- لايكوف، ج، وجونسون، م .(2009) .الاستعارات التي نحيا بها .دار توبقال للنّشر.
- مجدوب، ع. .(2012) إطلالات على النّظريّات اللّسانيّة والدّلاليّة في النّصف الثاني من القرن العشرين، قرطاج/ تونس: المجمع التّونسيّ للعلوم والآداب والفنون.
- مفدي، ز .(د-ت) .ديوان اللّهب المقدّس .موفم للنّشر.
- الملجمي, ع. (ديسمبر 2015). الاستعارة وعلاقة الإنسان بالبيئة في ضوء النّظريّة التّفاعليّة. مجلّة مجمع اللّغة العربيّة على الشّبكة العالميّة (العدد 9).
- يوسف، أ .(2005) السيميائيّات الواصفة .الجزائر: منشورات الاختلاف.